قصّة قصيرة

درس في اللّغة

أحمد هيبة

١ ـ قبل الحكي: تقول الأنباء، إنّهم يقاتلون ببسالة.. بالحجارة والزّجاجات الحارقة.. وتقول الأنباء: إنّهم يمارسون على الأرض رقصهم العصبيّ.. لكن ما لم تقله الأنباء، أنّهم يكتبون الشّعر! شعراً جاوزوا فيه بلاغة الحداثويين.. إنّهم يغنّون الموّال الفلسطيني، الّذي تخترق نبراته كلّ أساليب التضليل.

٢ ـ شيء من الحكي: في الفصل كانوا ثلاثين أو يزيد، نظراتهم الحزينة تختزن مخاوف الآتي.. وخارج المدرسة، تبدو الحياة مفتعلة في جلّ مظاهرها.. في كلّ مؤسّسة، علمٌ بنجمة سداسيّة يرفرف.. وفي أسفل العلم، عسكريّ يمشي بخيلاء، وهو يدخّن «المارلبورو، السّيجارة الأكثر رواجاً في العالم»..

في الفصل، كان المعلّم يستعدّ لإعطاء درس في اللّغة.. وكان العنوان: المبتدأ والخبر.. ولأنّ جلّ المربّين يركّزون على ضرورة تنمية مَلَكَة النّقد والاستنباط، فقد سطّر المعلّم مثالاً على اللّوح: «الحرّيّة مطلب عربيّ». والمثال معطى ليشتغل عليه الأطفال.. كلّهم كانوا يركّزون.. رفعوا الأصابع.. فأعطى المعلّم الكلمة لخالد، وهو أصغر زملائه. وقف في مكانه ليعرب الجملة:

الحرّيّة: يا أستاذ مبتدأ لم يبدأ بعد

مطلب: خبر يخبرني عنه من خبر محنة الاحتلال.

عربي: ممنوع من الصّرف

شعر المعلّم بحرج، وخاطب تلميذه: يبدو أنّك أخطأت الإعراب.. من منكم يعيد الإعراب؟

وقف المتعلّمون جميعاً، وبصوت جماعيّ ردّدوا:

الحرّيّة: مبتدأ لم يبدأ بعد/مطلب: يخبرني عنه من خبر محنة الاحتلال/عربيّ: ممنوع من الصرف.

ظلّوا يردّدون هذا الإعراب، وهم ينسحبون من الفصل.. وفي الشّارع، كانوا يقذفون العدوّ بالحجارة.. وبدمهم يورقون وطناً حرّاً قويّاً.